اختلالُ المفاهيمِ العقديةِ ... مواطِنُه وآثارُه (١)

إن من بديهيات العقيدة الإسلامية أن يعتقد المسلم أن دينه وحده هو الدين الصحيح من بين أديان أهل الأرض منذ بعثة النبي الخاتم ﷺ، وأنّ ما سواه من الملل والنحل باطل لا يقبله الله تعالى، كما صرح بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والمقصود أن الأصول التي بنت عليها هذه الديانات عقائدها وتشريعاتها هي على خلاف ما يرضاه الله تعالى مما أنزله على أنبيائه ورسله؛ لاشتمالها على الكذب الصريح على الله تعالى وعلى أنبيائه.

وهذا الخسران الديني متحقق في الحياة الأخروية، كما في الآية السالفة، أما في الدنيا فإن كمال العدل الإلهي يقتضي حصول شيء من الثواب العاجل لأتباع تلك الديانات الباطلة على ما عندهم من الخير، كما دل عليه قوله سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: ١٥]، وقول النبي ﷺ: (... وأما الكافر فيُطعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها) [رواه مسلم].

وبهذا امتن الله تعالى على المسلمين بهدايتهم إلى هذا الدين وصراطه المستقيم، حين أنزل على نبيه بعرفة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وشرع لهم أن يلحّوا في طلبها كلما صلّوابقولهم ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، فعلّمهم أن يسألوه معرفة الحق والعمل به، وأن يجنبهم حال المغضوب عليهم؛ وهم اليهود، وحال الضالين؛ وهم النصارى.

وقد وقع الخلل في الالتزام بالدين لدى بعض المسلمين في جانبين:

الأول: خلل في السلوك، تمثل في إهمال شيء من الواجبات الشرعية كالصلاة والزكاة والبر والصلة وحجاب المرأة والأمانة ونحوها، أو ارتكاب شيء من المنهيات كأكل الربا والسرقة والزنا وشرب الخمر والقتل بغير حق ونحو ذلك، وكان المؤدي إلى الخلل في هذا الجانب الشهواتُ الداعية للنفس الأمارة بالسوء، وهذا الخلل السلوكي على شناعته وخطورته أهون بالنسبة للجانب الثاني.

الثاني: وهو الخلل العقدي في المفاهيم، الذي يشوّه الأصول التي يقوم عليها بناء الدين، ويَغُر بعض المتدينين فيحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد كان المؤدي إلى الخلل في هذا الجانب وحيُ شياطين الإنس والجن بالشبهات المزخرِفة للباطل حتى يبدو للمغرور في صورة الحق، وقد أشار إلى الجانبين قوله تعالى للكفار: ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ [التوبة: ٦٩]، فالاستمتاع يكون بالشهوات، والخوض يكون في الشبهات، ورُوي في الأثر: (واعلم أن الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات، والعقل الكامل عند نزول الشبهات) [أخرجه البيهقي].

ومما يبين أن الخلل في الاعتقاد أخطر بكثير أنه قد يَذهب بأصل الإيمان، ويبطل الدين من أساسه، أما الخلل في السلوك فإن سببه ضعف الإرادة وقوة داعي الشهوة، وهو ينقص الإيمان ولا يزيله بالكلية ما لم تُستحل المعصية الظاهرة.

كما أن مختل العقيدة غالباً لا يشعر بخللها، فلا تلومه نفسه، بل غالباً ما يشعر أنه على الحق، ويتقرب إلى الله تعالى بالثبات على ما هو عليه، بل بالدفاع عنه والدعوة إليه، كما قال سبحانه عن كفار قريش: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ [ص: ٦]، وذلك بخلاف المختل سلوكياً؛ فإن ذل المعصية غالباً لا يغادر قلبه، ولا تزال نفسه تلومه عليها حتى يأذن الله بتوبته ولو بعد حين، ومن هنا قال سفيان الثوري رحمه الله: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ المعصية يُتاب منها والبدعة لا يتاب منها. وبهذا فسر الإمام أحمد رحمه الله قول النبي ﷺ: (إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة) [أخرجه الطبراني] .

أيقظني على الفجر ... ولا تحرم نفسك الأجر

كثير من الناس يعانون من مشكلة عدم الاستيقاظ على صلاة الفجر وقد أكون أنا أو أنت، بالرغم من أنّا نحرص على باقي الصلوات في المسجد جماعة، إلا أننا نعاني في صلاة الفجر- مع علمنا بأجرها العظيم - وقد يكون منا للأسف من ابتلي بأدائها بعد وقتها.

وقد يكون هذا لأسباب منها: التأخر في العمل أو الدراسة أو المطالعة، أو مشاهدة التلفاز في البرامج المفيدة، أو التأخر في بعض الزيارات إلى ما بعد العشاء لوقت طويل، أو غير ذلك من الأسباب الكثيرة، ولكن ألا تلاحظ أنها في الغالب أسباب غير شرعية!!! ومهما يكن السبب فإنه ليس بعذر.

وإذا كنت تريد أن تكون من مصلي الفجر جماعة في المسجد - وأنا لا أشك في رغبتك في ذلك - ونعوذ بالله أن لا نريد ذلك، فإني أدعوك إلى تجربة هذه الطريقة الرائعة جداً، والتي جربتها بنفسي، وقد يكون سبق للبعض منكم تجربتها، وهي:

أعطي رقم هاتفك إلى صديقك الذي تعهده يصلي الفجر جماعة، واطلب منه أن يوقظك معه على الفجر، وأن يُلِحَّ عليك في الاتصال حتى تستيقظ. ولكن احرص على عدم إغلاق هاتفك أو أن يكون على وضع "الصامت"!!!

فإن لم يكن لك صديق كهذا فاحرص على نفسك من أصحابك وأحسن اختيارهم!!!

لكن يمكنك أن تلجأ إلى إمام المسجد أو المؤذن أو غيره من الذين تجد فيهم حب الخير، فإنهم سيسعدون بذلك وسيحرصون على الأجر كما تحرص عليه أنت.

وأختم بقول النبي ﷺ: (لَن يَلِج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)، يعني الفجر والعصر. [رواه مسلم].

فلنحرص أحبتي على الأجر... ولنوقظ أحبائنا على الفجر.

تخيل أنك تحمل كوب لبن!!!

قدِمَ شاب إلى شيخ وسأله: أنا شاب صغير ورغباتي كثيرة، ولا أستطيع منع نفسي من النظر إلى الناس والفتيات في السوق، فماذا أفعل؟

فأعطاه الشيخ كوباً من الحليب ممتلئاً حتى حافّته، وأوصاه أن يوصله إلى وجهة معينة يمرّ من خلالها بالسوق، دون أن ينسكب من الكوب أي شيء!!!

واستدعى واحداً من طلابه ليرافقه في الطريق ويضربه أمام كل الناس إذا انسكب الحليب!!!

وبالفعل ... أوصل الشاب الحليب للوجهة المطلوبة دون أن ينسكب منه شيء ...

ولما سأله الشيخ: كم مشهداً وكم فتاة رأيت في الطريق؟

فأجاب الشاب: شيخي، لم أرَ أي شيء حولي ... كنتُ خائفاً فقط من الضرب والخزي أمام الناس إذا انسكب مني الحليب!!!

فقال الشيخ: وكذلك هو الحال مع المؤمن...

فالمؤمن يخاف من الله ومن خزي يوم القيامة إذا ارتكب معصية ...

هؤلاء المؤمنين ... يحمون أنفسهم من المعاصي ... فهم دائمو التفكر في يَـــوم الـقِيـامة ...

تَفكّر في أعمالك

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ [سبأ:٤٦].

التفكر: هو أن يُعمل الإنسان فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، و قد أمرَ الله تعالى بالتفكر وحثَّ عليه في كتابه، حتى يتوصل الإنسان به إلى المطَالب العالية والإيمان واليقين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾قل يا محمد للناس جميعاً: ما أُعِظُكُم إلا بواحدة: ما أقدِّم لكم إلا موعظة واحدة فقط، إذا قمتم بها أدركتم المطلوب، ونجوتم من المرهوب، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾.

﴿ تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ أي: مخلصين له، فتقوموا بطاعة الله عز وجل على الوجه الذي أُمرتم به، مخلصين له، ثم بعد ذلك تتفكَّروا، فإذا فعلتم ذلك فهذه موعظة، و أيُّ موعِظة.

و في هذه الآية إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان إذا عمل عملاً أن يتفكَّر فيه: هل قام به على الوجه المطلوب، هل قصَّر، هل زَادَ، وما أثر هذا العمل في طهارة قلبه، وزكاة نفسه، وما أثره في قلبه واستقامته، ولا يكون حاله كالذي يُؤدي أعماله الصالحة وكأنها عادات يفعلها كل يوم.

ولنضرب لهذا مثلاً بالصلاة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فلنفكِّر، هل نحن إذا صلَّينا زِدْنا طاقة وقوة ونشاطاً على الأعمال الصالحة، حتى تكون الصلاة مُعِينَةً لنا؟

وهل إذا صلَّينا وجدنا في أنفسنا كراهة للفحشاء، وكراهة للمنكر، وكراهة للمعاصي.

فإذا عرفتَ هذه الأمور، عرفت نتائج هذه الأعمال الصالحة، وكنت مُتَّعِظاً بما وَعَظَك به النبي ﷺ.

فتاوى

السؤال: هناك أشخاص يتحدثون في المسجد بغير أمور الدين، هل هذا جائز؟

وماذا يترتب على ذلك وفقكم الله؟

الجواب: لا ريب أن المساجد لم تُبنَ للقيل والقال وأحاديث الدنيا والسوالف الباطلة والقهقهة ونحو هذا، وإنما بنيت لذكر الله والصلاة، وقراءة القرآن وبيان العلم.

فالذين يجلسون في المساجد الواجب عليهم أن يتأدبوا بالآداب الشرعية، ويتباعدوا عما يخالف ما بنيت له المساجد، لكن إذا كان التحدث قليلاً في أمور الدنيا فلا كراهة في القليل، أما إذا كان كثيراً فيحرم؛ لقول النبي ﷺ: (يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم وليس همتهم إلا الدنيا، ليس لله فيهم حاجة، فلا تجالسوهم) [أخرجه الحاكم].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحدثون مع النبي ﷺ في المسجد في أمور الجاهلية وربما ضحكوا وتبسم ﷺ.

فالضحك إذا كان لأمر شرعي، أو لأمر تعجب منه من أمور الجاهلية، أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي توجب الضحك في غير لعب وفي غير امتهان المساجد، بل لأمر عارض في الأحاديث التي تعرض بين الناس في التاريخ ونحو هذا لا بأس به، أما أن يتخذ المسجد موضعاً للقيل والقال والسوالف والقهقهة ونحو ذلك فلا يجوز.

هل تعلم

هل تعلم أن ٦٠ ملجم من مادة النيكوتين قادرة على قتل إنسان بالغ لو أعطيت له دفعة واحدة عن طريق حقنها في الوريد.

هل تعلم أن الرغيف الأبيض والأرز الأبيض أقل بكثير في القيمة الغذائية من الرغيف الأسمر والأرز غير المضروب.

هل تعلم أن الرغيف الأسمر يحوي على الفايبر المفيد للأمعاء بعكس الخبز الأبيض.

هل تعلم أن التفاح وليس الكافيين هو المنبه الأقوى لمساعدة الإنسان على الشعور بالنشاط والحيوية في الصباح.

هل تعلم أن الناس الذين لا يتناولون وجبة الإفطار سوف ينخفض معدل سكر الدم لديهم، وهذا يقود إلى عدم وصول غذاء كاف لخلايا المخ مما يؤدي إلى انحلالها.

هل تعلم أن الذين يعانون من التساقط في شعرهم وتقصفه يعود أحياناً إلى سوء اختيار الشامبو وقلة شرب الماء وقلة أخذ الفيتامينات والمعادن اللازمة.

وقفة قرآنية

قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾ [النور: ٣١].

هذا خطاب رباني يهز القلوب، يامن آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً رسولاً.

قال أحد العلماء: التوبة وظيفة العمر، لم يستثن الله فيها أحداً.

فالتوبة إلى الله هي أعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه ومولاه في كل وقت وحين، فالله سبحانه هو التواب الرحيم، ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات.

وتكون التوبة آكد عند نزول البلاء وحصول المحن والمصائب، فعندئذٍ لا بد لنا من إصلاح النفوس والقلوب، إذ إن عامة البلاء ينزل بكثرة الكفر بالله وتعالى، وقد ضرب الله تعالى لنا المثل بالأمم السابقة في كتابه؛ فمنها من كانت في رغد من العيش وطمأنينة ورخاء فكفروا بأنعم الله فأذاقهم الله البأساء والضراء وأنزل فيهم المحن والبلاء.

وقد جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنه أنه دعا الله في استسقائه فقال: (اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة). وقال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ٩٨ ﴾ [يونس: ٩٨].

فالبعد عن المحرمات، وعمل الخيرات، والتوبة إلى الله سبب لحصول الأمن والرخاء من الله تعالى.

اللهم إنا تبنا إليك فتب علينا بفضلك ورحمتك، وأدام علينا نعمة الأمن والإيمان بمنّتك.